من بلد الى اخر فاذا قيل في الحرة من بلد كذا الى بلد كذا كذا كذا سكة فانما يعنون
الطرق مثال ذلك ان يقال من بغداد الى الموصل خمسة سكك يعنون ان القاصد
من بغداد الى الموصل يمكنه ان ياتيها من خمسة طرق وذكر عن بعضهم ان قولهم
سكة البريد بريد من منازل البريد في كل يوم والاول اظهر واصح والله اعلم
واما المصر فيجي في قولهم مصرت مدينة كذا في زمن كذا وفي قولهم مدينة كذا
مصر من الامصار والمصر في الاصل الحد بين الشيئين واهل هجر يكتبون في شروطهم
اشترى فلان من فلان هذه الدار بمصورها اي بحدودها وقال عدي بن زيد
وجاعل الشمس مصرا لاخفا به بين النهار وبين الليل قد فصلا واما الطول فيجي
في قولنا عرض البلد كذا وطوله كذا وهو من الفاظ المنجمين وفسروه فقالوا معنى قولنا
طوله اي بعده عن اقصى العماره سوا اخذه في معدل النهار او في خط الاستوا الموازي
لها وذلك ان التشابه بينهما يقيم احدهما مقام الاخر ولان ما يستعمل من هذه الصناعه
انما هو مستنبط من ارا اليونانيين وهم ابتدوا الاطوال من اقرب نهايتي العماره اليهم
وهي الغربيه فطول البلد على ذا هو بعده عن المغرب الان في هذه النهايه فيهم اختلافا
فان بعضهم يبتدي بالطول من ساحل بحر اوقيانوس الغربي وهو البحر المحيط
وبعضهم يبتدي به من سمت الجزاير الواغله في البحر المحيط قريبا من مايتي فرسخ تسمى جزاير
السعادات والجزاير الخالدات وهي بحيال بلاد المغرب ولهذا ربما يوجد للبلد
الواحد في الكتب نوعان من الطول بينهما عشر درج فيحتاج في تمييز ذلك الى فطنه وذكر
هذا كله عن ابي الريحان واما العرض فان عرض البلد مقابل لطوله الذي ذكر قبل ومعناه
عند المنجمين هو بعده الاقصى عن خط الاستوا نحو الشمال لان البلاد والعمارة في هذه
الناحيه ويحاذيه من السما قوس عظيمة شبيهة به وافقه بين سمت الراس وبين معدل
النهار ويساويه ارتفاع القطب الشمالي فلذلك يعبر عنه به وانحطاط القطب
الجنوبي وان ساواه ايضا فانه خفي لا يشعر به هذا كلام صاحب التفهيم واما
الدرجه والدقيقه فهو ايضا من نصيب المنجمين يجي ذكرها في هذا الكتاب في تحديد
الطول والعرض قالوا الدرجه قدر ما تقطعه الشمس في يوم وليلة من الفلك وهو في
مساحة الارض خمسة وعشرون فرسخا وتنقسم الدرجه الى ستين دقيقة والدقيقه الى ستين
ثانيه والثانيه الى ستين ثالثه و[illegible] لذلك واما الصلح فيجي في قولنا فتح بلد كذا صلحا
او عنوة ومعنى الصلح من الصلاح وهو ضد الفساد والصلح في هذا الموضع
ضد الخلف ومعناه ان المسلمين رضي الله عنهم كانوا اذا نزلوا على حصن او مدينة
وخافهم اهلها جنحوا الى المسلمين وبذلوا لهم عن ناحيتهم مالا او خراجا او وظيفة
يوظفونها عليهم يودونها في كل عام على رووسهم وارضهم او ما لا يحملونه لهم اي انها
لم تفتح عن غلبة كما كانت العنوة بمعنى الغلبة واما السلم في قوله تعالى وادخلوا في السلم

١٦
كافة قالوا عنى به الاسلام وشرايعه والسلم الصلح والسلم ايضا الاستسلام والانقياد
الى ارادة المسلمين فكانه والصلح متقاربان وعندي انه من السلامه اي انه اذا اتفق الفريقان
واصطلحا سلم بعضهم من بعض والله اعلم واما العنوة فيجي في قولنا فتح بلد كذا عنوة
وهو ضد الصلح قالوا العنوة اخذ الشي بالغلبة قالوا وقد يكون عن تسليم وطاعة ممن
يوخذ منه الشي وانشد الفرا فما اخذوها عنوة عن مودة ولكن ضرب المشرفي استقالها
قالوا وهذا على معنى التسليم والطاعة بلا قتال قلت وهذا انا وكل في هذا البيت على ان
العنوة بمعنى الطاعة ويمكن ان يتاول تاويلا يخرجه عن ان يكون بمعنى الغصب والغلبة فيقال ان
معناه فما اخذوها غلبه وهناك موده بل القتال اخذها عنوة كما يقول ما اسا اليك
زيد عن محبة اي وهناك محبة بل بغضه وكما يقول ما صدر هذا الفعل عن قلب صاف
اي وهناك قلب صاف بل كدر ويكون قريبا في المعنى من قوله تعالى وقالت اليهود نحن ابنا
الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ويصلح ان يجعل قوله اخذوها دليل على الغلبه
والقهر ولولا ذلك لقال فما سلموها فان قايلا لو قال اخذ الامير حصن كذا لسبق الوهم
وكان مفهومه انهم اذا عنوا به عن ارادة واختيار وهذا ظاهر والاجماع ان العنوة
الغلبه ومنه العاني وهو الاسير يقال اخذته عنوة اي قسرا وقهرا وفتحت هذه المدينه
عنوة اي فتحت بالقتال قوتل اهلها حتى غلبوا عليها وعجزوا عن حفظها فتركوها وجلوا
من غير ان يجري بينهم وبين المسلمين فيها عقد صلح واما الخراج فان الخراج والخرج بمعنى واحد وهو
ان يودي اليك العبد خراجه اي غلته والرعية تودي الخراج الى الولاة واصله من قوله
تعالى ام تسالهم خرجا وقرى خراجا معناه ام تسالهم اجرا على ما جيت به فاجر ربك
وثوابه خير واما الخراج الذي وظفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على السواد واراضي الفي
فان معناه الغلة ومنه قوله عليه السلام الخراج بالضمان قالوا هو غلة العبد يشتريه الرجل
فيستغله زمانا ثم يعثر منه على عيب دلسه البايع ولم يطلعه عليه فله رد العبد على البايع
والرجوع عليه بجميع الثمن والغلة التي استغلها المشتري من العبد طيبة له لانه كان في ضمانه
ولو هلك هلك من ماله وكان عمر رضي الله عنه امر بمسح السواد ودفعه الى الفلاحين
الذين كانوا فيه على غلة يودونها كل سنة ولذلك سمي خراجا ثم قيل بعد ذلك للبلاد
التي فتحت صلحا ووظف ما صولحوا عليه على ارضهم خراجية لان تلك الوظيفه اشبهت
الخراج الذي لزم الفلاحين وهو الغلة لان جملة معنى الخراج الغلة وفي الحديث ان ابا طيبه
لما حجم النبي صلى الله عليه وسلم امر له بصاعين من طعام وكلم اهله فوضعوا عنه من
خراجه اي من غلته واما الفي والفينه فان اصل الفي في اللغة الرجوع ومنه الفي وهو
عقيب الظل ظل الشجره وغيرها بالعشي والظل بالغداة كما قال حميد بن ثور فلا الظل
من برد الضحى تستطيعه ولا الفي من برد العشي تذوق وقال ابو عبيده كلما كانت ٣
الشمس عليه فزالت فهو في وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ومنه قول الله جل وعز

Copyright © King Saud University